الأطفال المساء إليهم والمهملين

د. سكينة أحمد محمد هاشم ★

مقدمة:

تعد مشكلة الإساءة للطفل Child Abuse إحدى المشكلات التي تثير اهتماما عالميا في الوقت الحاضر نتيجة لتطور حركة رعاية الطفولة في العالم بأكمله. وبالرغم من هذا الاهتمام إلا أن ظاهرة الإساءة للطفل ليست وليدة هذا العصر ، فقد تعرض الأطفال إلى أشكال من التعذيب والإساءة والاستغلال عبر العصور كافة. فقد كانت الأمم السابقة تذبح الأطفال أحيانا وتقدمهم قرابين للآلهة لأنهم رمز البراءة والنقاء، وفي تاريخنا العربي القديم كانت ظاهرة وأد البنات مثالا حيا على سوء معاملة الأطفال والإناث على حد سواء.

وظاهرة الإساءة للطفل child abuse هي مصطلح استخدم حديثا ليشير إلى ردود الأفعال المباشرة وغير المباشرة التي توجه نحو الطفل بهدف إيقاع الأذى النفسي أو اللفظي أو الجسدي أو الجنسي به، الذي يترك آثاراً سلبية على نموه الجسمي والنفسي ويعيق تطوره ونماءه.

وتنص المادة (١٩) من اتفاق حقوق الطفل الصادر عن الأمم المتحدة (في تحديد مفهوم الإساءة للطفل) على ما يلي: "تتخذ الدول الأطراف الموقعة جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية أو الإهمال أو المعاملة المنطوية على الإهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية ، وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني) الأوصياء القانونيين) عليه أو أي شخص آخر يتعهد برعاية الطفل".

على الرغم من أن الأطفال هم أعظم ثروات الأمة في حاضرها ومستقبلها ورغم أنهم يشكلون نسبة كبيرة من السكان إلا أن كثيراً منهم يتعرض في كثير من المجتمعات إلى أشكال مختلفة من الإساءة أو سوء المعاملة وهذا الأمر له آثار سلبية خطيرة على شخصية وسلوك الطفل وعلى قدرته في التواصل والاندماج في المجتمع.

ونؤكد هنا أن كل حالة إساءة يتعرض لها طفل ما، هي حالة خاصة لها ظروفها المتعلقة بها أي إن العوامل التي ساهمت في وجودها تختلف عن العوامل التي تساهم في وجود حالة أخرى، بمعنى أن لكل حالة خصوصيتها لكن هناك عدداً من العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تشكل قاسماً مشتركاً، أو أسباباً وعوامل عامة يمكن أن تؤثر أو تساهم في وجود ظاهرة الإساءة إلى الأطفال واستمرارها ومن أهم هذه العوامل. الفقر وتدني الدخل المالي للأسرة حيث تدفع الأسر الفقيرة بأبنائها إلى العمل رغبة في زيادة دخلها المالي وغيرها والتفكك الأسري وهو من أهم العوامل التي تسهم في الإساءة إلى الأطفال بسبب الطلاق أو موت أحد الأبوين وغالباً في حالة موت الأب أو سجن رب الأسرة أو غيابه لفترات طويلة أو بسبب ضعف الروابط والعلاقات داخل الأسرة وكذلك يقلل من دور الأسرة في رعاية وحماية الطفل وقد تدفع هذه الأسباب مجتمعة أو بعضها الأطفال إلى الهروب من أسرهم حيث يتعرضون خارج الأسرة إلى أشكال متعددة من سوء المعاملة.

ومن العوامل أيضاً التي تؤدي إلى الإساءة إلى الأطفال العنف الأسري الذي يمارس داخل الأسرة وغالباً ما يكون الأطفال هم الضحايا الذين يقع عليهم هذا العنف لضعفهم وعدم مقدرتهم على رد الاعتداء الواقع عليهم، ومما يزيد الأمر سوءاً أن هذا العنف يصدر من أقرب المقربين للأطفال مثل الأب، الأخ، وربما الأم في بعض الأحيان ويتمثل في الإهانة والشتم

★ رئيس قسم خدمة المجتمع مركز الإرشاد التربوي والنفسي – جامعة صنعاء

والضرب والطرد من المنزل. أيضاً فإن الأطفال في المدرسة يتعرضون إلى العنف حيث يقع عليهم الاعتداء جسدياً إذ يتعرضون للضرب من قبل زملائهم الأكبر منهم وربما من بعض المعلمين وهو ما يدفعهم إلى الهروب من المدرسة ويعرضهم للاستغلال والإساءة لهم.

ويضيف الدكتور موسى المشهداني[1] حول عوامل الإساءة إلى الطفل قائلاً: هناك عوامل الإخفاق في الدراسة وهو ما يدفع الطفل إلى ترك المدرسة والهروب إلى الشارع وقد يدفع أسرة الطفل إلى تشغيله بعمل ما يعرضه إلى أنواع مختلفة من الإساءة في بيئات العمل هذه، وكذلك الحروب والكوارث التي تجعل الطفل تحت استغلال ونفوذ جماعات أو عصابات الإجرام التي تستغل هذه الظروف وتعمل على تشغيل الأطفال في أعمال مختلفة كترويج المخدرات والاستغلال الجنسي.

كما تستغل هذه العصابات أطفال الشوارع الذين يمثلون صيداً سهلاً لها.

ويرى الدكتور المشهداني أن الأمية وتدني المستوى التعليمي والثقافي للأبوين من الأسباب التي تدفع الأبوين إلى إساءة معاملة أطفالهم حيث لا يقدران التبعات أو الآثار التي ستلحق بأطفالها بسبب الاعتداء عليهما بالضرب أو غيره من أشكال الإساءة وسوء المعاملة للأطفال.

أما الآثار الناجمة عن الإساءة إلى الأطفال فتتمثل في التأثير سلباً على شخصية الطفل وقدراته على المشاركة والتفاعل والتواصل والاندماج في مجتمعه والإساءة إلى الطفل لا تقف عند الطفل وإنما تتعداه إلى أسرته ومجتمعه وهنا يقع على المؤسسات المجتمعية ومنها وسائل الإعلام والاتصال دور هام في توعية وتثقيف أفراد المجتمع والأسرة خصوصاً من خلال تقديم البرامج التي تتناول حقوق الطفل وأساليب الرعاية والاهتمام به ودفع الأخطار عنه، هذا من جانب الوقاية أما من جانب العلاج فلا بد من رعاية الأطفال الذين تعرضوا للإساءة فعلاً والذين تتهيأ لهم فرصة التخلص ممن كان يسيء التعامل معهم ويكون ذلك من خلال توفير المكان الآمن لهم لمنع تعرضهم للاستغلال وسوء المعاملة مجدداً مع توفير كل الضروريات اللازمة لهم ليعيشوا حياة صحية وطبيعية سوية.

مصطلحات الموضوع:

- **الإساءة:** هي شكل من الأشكال القاسية والعنيفة في التعامل مع الطفل. ويستخدم هذا المصطلح مرادفاً لمصطلح العنف، ويقصد به أي فعل يقوم به أحد أفراد الأسرة بقصد إيقاع الضرر بشخص آخر، وتشمل القول والفعل، وقد ارتبطت بفئة الأطفال في الأسرة وغيرهم من أفراد المجتمع، وكانت أول صور الإساءة ما كشفت عنه الأطباء أو القائمين على رعايتهم. تعرف الإساءة في قاموس الخدمة الاجتماعية الصادر عن الاتحاد الدولي للأخصائيين الاجتماعيين بأنها سلوك خاطئ وغير سوي، يقصد به إلحاق الأذى والضرر الجسمي أو النفسي للفرد أو الجماعة.

- **الطفل المساء إليه:** هو الذي يتعرض للإساءة البدنية أو النفسية أو الاجتماعية المتعمدة والمتكررة سواء أكانت بالفعل أم بالإهمال من قبل الأسرة، وبصفة خاصة: كل طفل تحت سن عشر سنوات يتعرض للجروح الجسمية أو العقلية أو الاعتداء الجنسي والإهمال أو إساءة معاملته من الشخص المسئول عن رعايته بحيث يؤدي إلى الإضرار به، وبصحته وسعادته.

- **العنف:** يعد نوعاً من الإساءة للأطفال، يعرفه عدد من علماء السلوك بأنه: نمط من أنماط السلوك الذي ينبع عن حالة إحباط مصحوب بعلامات التوتر، ويحتوي على نية سيئة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي، وينبعث منه العنف ضد الأطفال.

- **العنف ضد الطفل:** " أي فعل، أو الامتناع عن فعل، يعرض حياة الطفل وأمنه وسلامته وصحته الجسدية والجنسية والعقلية والنفسية للخطر –كالقتل، والشروع في القتل، والإيذاء، والإهمال وكافة الاعتداءات الجسمية "

تصنيف الإساءة للأطفال :

١- الإساءة للأطفال تفقدهم تقدير الذات وتؤدي بهم إلى الاكتئاب والانحراف، الدكتور موسى المشهداني، جريدة الرياض اليومية، السبت ٢٩ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ٣١ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٧٠٤.

تأخذ الإساءة للطفل العديد من التصنيفات و الأشكال:

١- الإساءة الجسدية: " تأخذ الأساة الجسدية أشكالاً معروفة وغير معروفة من الممارسات العنيفة مثل الضرب على مناطق حساسة من جسم الطفل ، كما تشمل إعطاء الطفل كميات كبيرة من الأدوية أو المهدئات حتى يبقى نائماً، و حبس الطفل فترات طويلة و استخدامه للسرقة"(الشقيرات، المصري،)[٢] ، وتشير الإساءة الجسدية عامةً إلى الأذى الجسدي الذي يلحق بالطفل على يد أحد والديه أو ذويه. وهو لا ينجم بالضرورة عن رغبة متعمدة في إلحاق الأذى بالطفل، بل إنها في معظم الحالات ناتجة عن أساليب تربوية قاسية أو عقوبة بدنية صارمة أدّت إلى إلحاق ضرر مادي بالطفل أو كادت. وكثيراً ما يرافق الاعتداء الجسدي على الطفل أشكال أخرى من سوء المعاملة. ومن الأمثلة المؤسفة والشائعة على ذلك ضرب أحد الوالدين لطفله بقبضة اليد أو بأداة ما، في الوقت الذي ينهال عليه بسيل من الإهانات والشتائم. وفي هذه الحالة، يعتبر الطفل ضحية اعتداء جسدي وعاطفي في آن واحد.

ويشمل الاعتداء البدني على الطفل الرضوض والكسور والجروح والخدوش والقطع والعض وأية إصابة بدنية أخرى. ويعتبر اعتداءً كذلك كل عنف يمارسه أحد والدي الطفل أو ذويه إذا تسبب في أذى جسدي للطفل. ويشمل ذلك ضربه بأداة أو بقبضة اليد واللطم والحرق والصفع والتسميم والخنق والإغراق والرفس والخض. وكل هذه الممارسات وإن لم تسفر عن جروح أو كسور بدنية ظاهرة ولكنها تعتبر اعتداء بحد ذاتها.

٢- الإساءة العاطفية: يمكن تعريف الإساءة العاطفية بوصفها النمط السلوكي الذي يهاجم النمو العاطفي للطفل وصحته النفسية وإحساسه بقيمته الذاتية. وهو يشمل الشتم والترهيب والعزل والإذلال والرفض والتدليل المفرط والسخرية والنقد اللاذع والتجاهل، والإساءة العاطفية تتجاوز مجرد التطاول اللفظي وتعتبر هجوماً كاسحاً على النمو العاطفي والاجتماعي للطفل، وأي إهانة من هذا النوع تعتبر تهديداً خطراً على الصحة النفسية للشخص. كما أن الإساءة اللفظية تندرج تحت الإساءة العاطفية للطفل، والإساءة اللفظية أيضا سلوك غير تربوي، ولاتصلحه اجتماعيا بل تؤدي به إلى الشعور بالدونية وتدفعه للوقوع في المحذور، بل و تشده إلى تقمص الصورة المنحطّة التي ترسمها له ألفاظ ذويه مما يحد من طاقة الطفل ويعطّل إحساسه الذاتي كما تعطل إمكاناته وطاقاته. ومن الألفاظ غير المقبولة: إطلاق الصفات على الطفل مثل "غبي"، "أنت عالة" أو أية صفة غير محمودة أخرى تؤثر في إحساسه بقيمته وثقته بنفسه خاصة إذا كانت تلك الأسماء تطلق على الطفل بصورة مكررة.

٣- الإساءة الجنسية للطفل: "كاستخدام الطفل لإشباع الرغبات الجنسية فاعلا كان أو مفعولا، فالتحرش الجنسي بالطفل إساءة. ومن أنواع الإساءات الجنسية تعويد الطفل على مشاهدة صور الخلاعة والمواقع الإباحية. إذ ثبت أن للاعتداء الجنسي آثاراً عاطفية مدمّرة لسلوك الأطفال، ناهيك عما يصاحبها غالباً من أشكال سوء المعاملة. وهي تنطوي أيضاً على خذلان البالغ للطفل وخيانة ثقته واستغلاله لسلطته عليه."

٤- الإساءة الانفعالية: وتعني استخدم bassared.hardمجموعة من صور الإيذاء النفسي الذي يظهر في الأشكال الآتية :

- الازدراء وهو نوع من التصرف يجمع بين الرفض والذل فمثلا يرفض أحد الوالدين مساعدة الطفل ويرفض الطفل نفسه وقد ينادي الطفل بأسماء تحط من قدره ووصفه بأنه وضيع .
- الإرهاب ويتمثل بالتهديد والإيذاء الجسدي للطفل أو التخلي عنه إذا لم يسلك سلوكاً معيناً أو بتعريض الطفل للعنف أو التهديد من قبل أشخاص يحبهم أو تركه بمفرده في حجرة مظلمة .
- العزلة وهي عزل الطفل عن من يحبهم أو أن يترك بمفرده لفترات طويلة وربما يمنع من التفاعلات مع الزملاء أو الكبار داخل وخارج العائلة .
- الاستغلال والفساد ويتضمن تشجيع الطفل على الانحراف مثل تعليمه سلوكاً إجرامياً أو تركه مع خادم أو تشجيعه على الهروب من المدرسة أو الاشتراك في أعمال جنسية .

---

٢ - شقيرات، محمد عبد الرحمن. المصري ، نايل.(٢٠٠١م) الإساءة اللفظية ضد الأطفال من قبل الوالدين في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية المتعلقة بالوالدين. مجلة الطفولة العربية يونيو ٢٠٠١م، الكويت ص(٩).

- إهمال لردود الأفعال العاطفية ويتضمن إهمالا لمحاولات الطفل التفاعل مع الكبار مثل اللمس والكلام والقبلة والوالدان هنا يشعران الطفل انه غير مرغوب فيه عاطفياً[٣].

٥- الإهمال: يحدث الإهمال من الأطفال عندما لا يلبي الوالدين حاجات الطفل عند الحاجة أو عندما لا يسد الضروريات الأساسية التي تتطلبها حياته كالطعام، و الملبس، والمأوى، أو حتى العناية الطبية إذا احتاج الأمر لذلك،أ وترك الطفل يمارس حياته بمفرده ودون توجيه ورعاية مجردة من العنف .

٦- الإساءة الصحية: ويتمثل في معاناة الطفل من الجوع والبنية الهزيلة والتقمل والملابس غير المناسبة ويشعر الطفل نتيجة لذلك بعدم وجود أحد يرعاه .

أسباب الإساءة:

تشير معظم الدراسات حول الإساءات الواقعة على الطفل، إلى أن ٧٠% من حالات الاعتداء.. أو الإساءة أيا كانت حالاتها، تقع على الأطفال من أشخاص يعرفونهم، وهذا يعني أن هذه الإساءة أو الاعتداء يقع من قريب لهذا الطفل من أبيه أو أمه.. أو أحد الأقارب في حال غياب أو تغييب أحدهما، حين تقع وصاية هذا الطفل أو ذاك على قريب لأسباب وظروف لا يمكن تجنبها، هذه الإساءة، قد تقع في الغالب عنيفة ومؤثرة على سلوكه وصحته، حيث يمارسها هذا الغريب الذي يعرفه الطفل، ذلك أن هذا القريب غالبا ما يتحصن بهذه القرابة التي يعتقد أنها تحفظه من التعرض لما يمكن أن يترتب على الإساءة من المساءلة التي توجب في النهاية عقوبة يشعر انه في مأمن منها، ناهيك عن ضعف الطفل الذي لا يجد من يدافع عن حقوقه التي تضيع بين غياب التشريعات الحافظة لحقوق الطفل.. وسطوة القرابة التي أعطتها التقاليد الحق في الإساءة للطفولة تحت عنوان إجراءات تربوية لتقويم الاعوجاج .

كما أن هناك عوامل وأسباب أخرى منها:

١- العوامل الديموغرافية:

- **اجتماعية:** كالتمييز ، الخلافات ، زيادة عدد أفراد الأسرة
- **اقتصادية:** الفقر، البطالة
- **قانونية:** القوانين التمييزية، القصور القانوني، الأمية القانونية
- **سياسية:** انخفاض المشاركة، ضعف التنظيمات
- **نفسية:** الإحباط ، الضغط النفسي، العدوانية، اضطراب الشخصية
- **وسائل الإعلام** - سلاح ذو حدين: العنف في التلفزيون
- **تقنية وترفيهية:** بعض برامج الكومبيوتر و الألعاب الإلكترونية

٢ - عوامل كامنة تزيد من احتمالية العنف:

- المرتبطة بالمسيء: الصفات الشخصية (مُساء إليه سابقاً)
- المرتبطة بالمُساء إليه
- المرتبطة بالعائلة: النزاعات العائلية – الضغوطات
- المرتبطة بالمحيط: مفهوم العقاب – القيم.

وفي دراسة أخرى نجد أنها تشير إلى العديد من العوامل المسببة للإساءة للأطفال منها:

١- العوامل الأسرية:

تعد الأسرة المصدر الرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية لما لها من دور كبير في رعاية الطفل وإشباع حاجاته الأساسية من طعام وشراب وإشعاره بالأمن، وقد تعترض الأسرة العديد من العقبات التي بلا شك تؤثر بشكل كبير على عملية التنشئة الاجتماعية ودفعت الأسر إلى اتباع ممارسات أساءت بها إلى الطفل ومنها ما يلي:

١- خروج الأم للعمل واستمرارها فيه لساعات طويلة خلال النهار وحرمان الطفل من العطف والحنان .

٣- الطراونة، إساءة معاملة الطفل الوالدية، أشكالها ودرجة التعرض لها، مجلة دراسات، العدد(٢) لسنة٢٠٠٠م، ص، ٤١٤.

٢- الخلافات الأسرية بسبب الظروف الاقتصادية وما نجم عن ذلك من فراق أو طلاق بين الوالدين .
٣- انشغال الآباء بالعمل أو الهجرة إلى خارج الوطن وغيابهم المستمر عن الأسرة .
٤- ازدياد عدد حالات الأسر التي تعيش تحت خط الفقر المدقع وسوء التغذية .
٥- الضغوط النفسية التي يعانيها أحد الوالدين أو كلاهما التي تؤثر تأثيراً كبيراً في رعاية الطفل .
٦- ضيق المسكن وكبت حرية الطفل .
٧- قضاء الأطفال الوقت الطويل خارج المنزل .
٨- جهل الوالدين بأساليب التنشئة الاجتماعية السليمة .
٩- ارتفاع عدد أفراد الأسرة الذين يعيشون في منزل واحد .
١٠- المعاملة التميزية ضمن الأسرة .
١١- عزلة الأسرة اجتماعياً وضعف العلاقات الأسرية والشخصية والاجتماعية .
١٢- ضعف الإحساس بالمسؤولية تجاه أفراد الأسرة .

كما أن بعض الأسر تقوم بأدوار وممارسات عديدة أثناء تربيتها لأطفالها وبشكل ضمني أو بشكل واضح ملموس من خلال أفعال كالترهيب أو بث القلق والخوف في نفوس الأطفال أو معاقبتهم أو صب اللعنات عليهم أو عدم إشباع حاجاتهم العاطفية، وتقوم بعض الأسر بسوء معاملة الطفل نفسيا كإشعاره بأنه لا قيمة له وأنه غير محبوب أو غير مرغوب فيه أو سبه بأقذر الشتائم وإهانته أمام الآخرين .

وأكد العديد من علماء الاجتماع على وجود مستويات عدة تسهم في إساءة معاملة الطفل ومنها أثر تاريخ الأسرة على ممارسات الأب والأم والنظام الخارجي للأسرة وخصائص الجيران ومساندة الأسرة ومكونات ثقافة الأسرة[٤] .

ولوحظ أن الأطفال الذين يعيشون الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي يقع الآباء تحت وطأتها تكون أكثر عرضة للإساءة النفسية، كما أن الأسرة التي تعاني من أزمات اقتصادية والتي لا تعدل في معاملتها بين الجنسين والتي لا توفر العون والمساعدة لأطفالها هي أكثر الأسر التي تدفع أطفالها إلى المعاناة النفسية[٥] .

٢- الضغوط الاجتماعية:

وتتمثل الضغوط الاجتماعية في الأسرة بالفقر والبطالة وعدم التكافؤ الاجتماعي ووجود طفل معاق وغالباً ما يكون ضحايا الإهمال للفقر والفشل في توفير المأكل والمسكن والرعاية الطبية وزيادة حجم الأسرة ونقص الموارد المالية تمثل ضغطاً اجتماعيا كبيراً.

متى وكيف ولماذا تقع الإساءة على الأطفال:

وعندما نتساءل عن: متى وكيف ولماذا تقع الإساءة على الأطفال؟ فإذا ما عرفنا الإجابة عن هذه الأسئلة أمكننا البحث عن وسائل الوقاية من تكرار هذه الإساءات، وبالتالي نتمكن اجتماعيا من وضع حد لها وصولا إلى توفير حماية متكاملة للطفولة من الإساءات أيا كان نوعها ومصدرها. وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أن أغلبية حالات الإساءة تأتي من خلال الأهل وأفراد الأسر، ونادرا ما تأتي بعض الإساءات من خارج الأسر أي ما يعرف بـ الاعتداءات الخارجية، في حين أن الباقي إنما يأتي من الذين لا يعتقدون أن ما يفعلونه تجاه الأطفال وما يقومون به من عنف جسدي ونفسي يمثل إساءة.. واعتداء.. أو مصادرة للحقوق التي أقرتها النظم والتشريعات للأطفال، هذه القناعة التي تدعمها أحيانا التقاليد، قد تكون السبب الرئيس الذي يدلل في الوقت نفسه عن متى.. وكيف تقع الإساءة على الطفل.. وهذا السبب إنما ينبثق من تدني مستوى ثقافة المجتمع بالدرجة الأولى.. وهي كذلك عند غالبية الأسر.

أما لماذا تقع الإساءة.. فان البحث عن إجابة محددة ومنصفة في الوقت نفسه.. تبدو من الصعوبة بمكان، وبحيث لا يمكن حصر إجابات محددة يمكن تعميمها على أنواع الإساءات التي تقع على الأطفال أو على نوع الإساءات والاعتداءات

٤-الجلبي، د. سوسن شاكر،آثار العنف والإساءة معاملة الأطفال على الشخصية المستقبلية،
٥- مجلة الطفولة والتنمية، نحو إستراتيجية لحماية الطفل من سوء المعاملة.

التي يتعرضون لها، فأحيانا نجد هذه الاعتداءات أو الإساءات عند أسر ليس فيها من عيب، إلا نقص الوعي الذي يعطي الأبوة مركز الحاكم الذي يرى أن الاستبداد المترجم بالعنف أفضل وسائل تربية الأطفال وتقويم أخطائهم.. وقد نجد أسباباً ودوافع إساءات واعتداءات تقع على الأطفال مبنية على خلفية الوضع الأسري الذي يتسم بالاضطرابات الاجتماعية، أو قد يقوم على أسباب تفكك الأسرة، أو يعود إلى أسباب اقتصادية بحتة تجعل من الطفولة وسيلة استغلال سهل، حيث يحرم الطفل حقوقا واضحة تنقله من مظلة الطفولة إلى بؤس العمالة التي تمثل هي الأخرى إحدى معالم الإساءة والاعتداء على الطفولة، كل هذا في ظل تقاليد توارثتها الأسر جرت إلى إساءة.. أو اعتداء على حقوقه .

وهنا ومن واقع بعض الملامح الاجتماعية السائدة ينشأ لدينا تساءل: هل نعلق الأسباب على غياب التشريعات التي تصون الطفولة من الإساءة وتحفظ لها حقوقها؟ كما نتساءل: هل إن كانت هناك تشريعات تقدر حماية الطفولة وصيانة حقوقها؟، في ظل قناعات تقليدية متوارثة تؤكد أحقية ولي الأمر أيا كانت درجة قرابته..في الإساءة أو الاعتداء على الطفل وإن تحت عنوان «التربية والتقويم»؟ والإجابة على تلكم التساؤلات قد تكون ثقافية اجتماعية..! لكنها حتما ستنحصر في أن التشريعات لابد أن تسود وأن تتجدد بتجدد المعطيات وقد يكون قانون حقوق الطفل خطوة مناسبة ومطلوبة بإلحاح وصولا إلى ردع للممارسات الجنائية، و بناء وعي ضد الإساءة للأطفال بوضع المسيء تحت طائلة العقوبة، بغض النظر عن العلاقة بين المعتدي والطفل المعتدى عليه..

آثار الإساءة ومؤشراتها :

للإساءة آثار خطيرة تؤثر على البناء النفسي للطفل و تتمثل في ثلاث جوانب:

١- **الآثار الجسمية للإساءة[٦] :** تتمثل الآثار الجسمية الناجمة عن الضرب وإساءة المعاملة وتعمد استعمال الكلمات المشينة البسيطة منها والثقيلة، والحروق المختلفة، وكسور في العظام والعمود الفقري، تمزق العضلات، كما أن الصدمة الناتجة عن الضرب قد تؤثر على الجهاز العصبي المركزي للطفل، وتؤدي الإصابات التي يقوم بها القائمون على رعاية الطفل إلى آثار جانبية مثل فقدان السمع، تلف العين، والتخلف العقلي واضطرابات في التعلم. منها على سبيل المثال:

١- الأذى
٢- الموت
٣- مشاكل صحية مزمنة
٤- صعوبات معرفية

٢- **الآثار المرتبطة بالنمو:** وتتمثل في تأخر نمو الطفل في جوانب مختلفة ومنها انخفاض معدل الوزن والطول، وتأخر نمو الذكاء، وتأخر نمو القدرات التعليمية واللغوية، ومخاطر الإصابة بالتخلف العقلي والعجز عن أداء الوظائف الحركية والعقلية، وعجز في النظام العصبي واضطراب السلوك التكيفي.

٣- **الآثار النفسية والاجتماعية:** وتتمثل في نقص القابلية للاستمتاع بالحياة، والتبول اللاإرادي وعدم الاستقرار، والتأخر الدراسي والانسحاب والعناد والتمرد، السلوك القهري. ويبدو عليهم الانعزالية والخوف، العدوانية، سلوك متقلب، ويبدون تأخراً في التعليم، قد يسلكون سلوك محطم لذواتهم وللآخرين.

٤- **ضعف الثقة في النفس:** إن ثقة الفرد بنفسه وقدراته عامل مهم يؤثر في شخصيته وفي تحصيله وإنجازاته وقد أشارت كثير من الدراسات إلى أن هناك ارتباطاً كبيراً بين مفهوم الذات وبين التحصيل الدراسي فالطفل الذي لم تتم لديه الثقة في نفسه وقدراته ويخاف من المبادرة في القيام بأي عمل أو إنجاز، يخاف الفشل ويخاف التأنيب لذا تراه مترددا في القيام بأي عمل، إن هذا الخوف متعلم نتيجة العبء الثقيل الذي يتركه الوالدان على عاتق الطفل والتنافس الاجتماعي ما بين أفراد الأسرة الواحدة .

---

٦ - www.be-free. Info/parents/ar/sexuluse.htm.

٥- **الشعور بالإحباط:** إن الطفل يشعر بالإحباط إذا ما تهدد أمنه وسلامته ويرى ماسلو أن الإحباط الناشئ عن التهديد واستخدام كلمات التحقير أمام زملاء الطفل والاستهزاء بقدراته وعدم إشباع الحاجات الفسيولوجية للطفل يؤثر تأثيرا كبيرا على سلوك الطفل.

٦- **العدوان:** إن شدة العقاب والإهمال الذي يوقعه الوالدان على الطفل يثير عدوانية الطفل وشراسته وقد يكون رد فعل الطفل الإمعان في سلوك العدوان على الآخرين .

٧- **القلق:** إن سوء معاملة الطفل وإهماله يؤدي إلى شعور الفرد بالقلق الدائم وعدم الاستقرار النفسي والتوتر والأزمات والمتاعب والصدمات النفسية والشعور بالذنب والخوف من العقاب فضلا عن الشعور بالعجز والنقص والصراع الداخلي .

٨- **المشكلات النفسية والسلوكية الطويلة الأمد:** كشفت نتائج الدراسات التي أجريت على الأطفال ضحايا سوء المعاملة والإهمال عن صورة إكلينيكية واضحة المعالم تكمن بؤرتها في صدمة الإساءة التي قد تتبدى آثارها فيما يعرف باضطراب ضغوط ما بعد الصدمة عند الأطفال وهو اضطراب يظهر في متلازمة من الأعراض مثل (الخوف الشديد والهلع والسلوك المضطرب أو غير المستقر ووجود صور ذهنية أو أفكار أو ادراكات أو ذكريات متكررة وملحة عن الصدمة والأحلام المزعجة (الكوابيس) أثناء النوم والسلوك الانسحابي والاستثارة الزائدة وصعوبة التركيز وصعوبات النوم، إن المشكلات النفسية والسلوكية الناتجة عن صدمة الإساءة تظل قائمة ونشطة التأثير على الصحة النفسية للطفل لأنها بقيت كخبرة والصدمة تعيش مع الطفل والطفل يعيش معها.

٩- **سلوكات شاذة وغريبة** وتشمل عادات غريبة في الأكل والشرب والنوم والسلوك الاجتماعي واضطراب في النمو الذهني والعجز عن الاستجابة أو للمنبهات المؤلمة كما يظهر لدى هؤلاء الأطفال أعراض انفعالية تتضمن الغضب والإنكار والكبت والخوف ولوم الذات والشك والشعور بالعجز وانخفاض تقدير الذات والشعور بالذنب والبلادة.

المؤشرات السلوكية للإساءة لدى الطفل:

هنا نستعرض بعض السلوكيات التي قد تنتج عن تعرض الطفل للإساءة العاطفية ومنها[٧]:

- سلوكيات الطفولة كالهز والمص والعض وحب الانتقام .
- العدوانية المفرطة.
- السلوك المخرب والهجومي مع الآخرين.
- مشاكل النوم والكلام.
- عدم الاندماج في نشاطات اللعب وصعوبة التفاعل مع الأطفال الآخرين.
- الانحرافات النفسية كالانفعالات والوساوس والمخاوف والهستيريا.
- وصف الطفل ذاته بعبارات سلبية.
- الخجل والسلبية والخنوع.
- سلوكيات التدمير الذاتي.
- التطلب الشديد.
- تعطيل طاقات الإبداع و الابتكار لدى الطفل.
- عدم القدرة على تحمل المسؤولية و الشعور بالضعف.

الخدمة الاجتماعية والأطفال المساء إليهم:

٧- محروس. د.منال محمد،العلاقة بين ممارسة برنامج في طريقة العمل مع الجماعات وتعديل السلوك اللاتوافقي للأطفال المساء إليهم، مؤتمر الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر، المؤتمر الثامن عشر،٢٠٠٥م.

تهتم الخدمة الاجتماعية برعاية الطفولة لاعتبارات مهنية وإنسانية، فأطفال اليوم هم كيان وقوة المستقبل، والخدمة الاجتماعية لابد وأن يكون لها دوراً بارزاً ومهماً في ظل التغيرات التي تطرأ على المجتمع، ولهذا فالأخصائي الاجتماعي[٨] عليه تحمل عبء القيام بما يلي:

١- التوعية بنوعية المشكلات التي لا يستطيع الفرد ولا الأسرة إيجاد حلول لها.
٢- التوعية بدور الخدمة الاجتماعية في الأنشطة الأساسية ذات العلاقة بالأطفال المساء إليهم وتدعيم دورها.
٣- إيجاد البدائل التوجيهية الاجتماعية في المجتمع مع مراعاة التأكيد على القيم الأساسية للمجتمع، والعمل على زيادة الوعي بالمخاطر المؤثرة على الطفولة.
٤- التأكيد على أهمية الخدمة الاجتماعية ودورها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة في تنمية المجتمع و المدخل الواسع لممارسة الإصلاحات الاجتماعية.

وإذا كان الطفل يدفع به إلى سوق العمل في ظروف صحية واجتماعية فإن الخدمة الاجتماعية كمهنة ذات رسالة إنسانية تعمل على توفير حياة مستقرة وتوفر فرص النمو الطبيعي والتنمية السليمة، هذا بالإضافة إلى أنها تؤدي دوراً ايجابيا في الآتي:

١- توفير الخدمات الاجتماعية والصحية والترفيهية للعاملين وأسرهم.
٢- الاهتمام بفصول محو الأمية حتى في أماكن العمل.
٣- رسم السياسات ووضع البرامج والخطط المتعلقة بحقوق هؤلاء الأطفال.
٤- الاهتمام بمراكز التدريب والتوسع في إنشاء المزيد منها وخاصة في المناطق ذات الكثافة العالية لتكون منفذاً للأطفال المتسربين من التعليم.
٥- إثارة اهتمام المجتمع بمشكلات عمالة الأطفال وما يترتب على مستقبلهم من مختلف جوانب حياتهم ومجتمعهم.

خدمة الفرد ودورها في مجال عمالة الأطفال فتتحدد فيما يلي:

١- إشباع احتياجات الأطفال العاملين وحصولهم على حقوقهم بما يؤدي إلى التخفيف من الآثار السلوكية والإنتاجية التي تترتب على عملهم.
٢- تعديل سلوك الأطفال و تسوية القيم السلبية التي اكتسبوها نتيجة عملهم ووجودهم في بيئة العمل.
٣- تعديل أفكار الأسر وكل فئات مجتمعهم ودعوتهم للحفاظ على الطفولة، ونحو أهمية تعليم الأطفال.
٤- توضيح أهمية دور الأسرة في تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة، وأهمية إشباع حاجات الأطفال من الحنان والحب ومنحهم الدفء الأسري.

كما يجب على الأخصائي الاجتماعي تكوين علاقة مهنية معهم، وأن يكون له دور بارز في خدمة الفرد، وفي التعامل مع هذه الفئة التي أساء إليها المجتمع، لغرض إصلاح المجتمع، ولتحقيق أهداف الخدمة الاجتماعية، وإسهاماتها المباشرة وغير المباشرة في التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل وحتى التنمية الشاملة.

أساليب وتقنيات إرشاد ضحية الإساءة: تتنوع أساليب إرشاد الطفل المتعرض للإساءة، إذ يمكن استخدام أكثر من أسلوب إرشادي. ومن الجدير بالذكر أن مصطلح تأهيل الأطفال المساء إليهم Rehabilitation يطلق على إرشاد الأطفال الذين تعرضوا للإساءة للدلالة على أهمية المشكلة التي يتعرض لها الطفل وتأثيرها على جوانب حياته. وبشكل عام فإنه يمكن استخدام الأساليب الإرشادية التالية:

١- **قنية ودراسة حاجات الطفل** :إن حاجات الطفل المساء إليه قد تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بظروف الإساءة التي تعرض لها وشكلها. كما أن تحديد حاجات الطفل تساعد في وضع خطة إرشادية وعلاجية له

٨- شرشر، د. محمد عبد الحميد محمد، معوقات دور أخصائي الفرد في التعامل مع الأطفال المساء إليهم، مؤتمر الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر، المؤتمر الثامن عشر،٢٠٠٥م.

٢- **التفريغ الانفعالي** :حيث يتم عقد جلسات من التفريغ الانفعالي في جو تسوده الثقة والتقبل ، ويتاح للطفل التعبير عن مشكلته والإساءة التي تعرض لها.

٣- **التدريب على الاسترخاء وإزالة الحساسية التدريجي** : من المتوقع أن يشعر الطفل المساء إليه بدرجة عالية من التوتر والقلق والخوف، لذا فإن تدريبه على الاسترخاء يعتبر أسلوبا مفيدا في خفض القلق والخوف إعادة الشعور بالطمأنينة والأمن له. أما أسلوب إزالة الحساسية التدريجي فقد يفيد الأكبر سنا خاصة المراهقين.

٤- **التدريب التدعيمي**: والذي يقوم على مبدأ تأكيد الذات وتحديد المواقف التي تظهر فيها صعوبات التعبير أو السلوك التوكيدي.

٥- **الإرشاد والعلاج المعرفي**: يهدف هذا النوع من الإرشاد إلى محاولة تعديل الطريقة التي يحدد بها الأفراد أبنية خبراتهم وتفسيراتهم للمواقف التي يمرون فيها وبالتالي سلوكهم نحوها.

٦- **الاستعانة بمصادر المجتمع والتحويل**: وقد يتم اللجوء إلى الاستعانة ببعض مصادر المجتمع لحل مشكلة الإساءة الواقعة على الطفل مثل أسرة الطفل، طبيب مختص، الأجهزة الأمنية عند الضرورة وخصوصا عند تعرض الطفل لإساءة شديدة قد تعرض حياته للخطر.

مقترحات مقدمة للأب و الطفل (الناشئ) :

مقترحات مقدمة للوالد :

- فكّر قبل أن تعاقب: لا تتعامل مع طفلك أبداً وأنت غاضب. تمهّل حتى تسكن مشاعرك.
- تذكر: أن العقاب القاسي ليس إلا للانتقام وأنه لا يوصل إلى هدف تعليم وتهذيب طفلك ولكن بالتي هي أحسن وفي حدود العقل والتشريع السماوي وحقوق الطفولة.
- تفحّص سلوكك: فالاعتداء الجسدي ليس مفيدا دائما فقط بل قد يوقعك كأب في محنة الإعاقة. وتذكر أن استعمال الألفاظ كاستعمال الأفعال تخلّف جروحاً عميقة لا تندمل.
- كن والداً حنوناً: واستخدم أفعالك وأقوالك بحكمة الأبوة، لتبرهن للأطفال والكبار كيف يمكن حل النزاعات دون الحاجة إلى الصراخ وإن الإصلاح كل الإصلاح يكمن في التحاور والإنصات الإيجابيين.
- ثقّف نفسك وثقف الآخرين: ساعد من حولك وتجنب شؤون الإهمال والاعتداء على الأطفال.
- أبحث عن الأسباب التي أدت إلى انحراف الأطفال: فمعظم الآباء لا يتعمدون إيذاء أو إهمال أطفالهم لكنهم لا يتفهمون دوافع أطفالهم للانحرافات. وكثيرون من الآباء المعتدين كانوا أطفالاً معتدى عليهم. والوالدان الصغيران في السن أو المفتقران للخبرة قد لا يجيدان الاعتناء بأطفالهم ولا يعيان احتياجاتهم في مراحل نموهم المختلفة. ومثل ذلك الظروف التي تشكل ضغوطاً إضافية على الأسرة شأن تلك المشكلة الاجتماعية شان الفقر، والطلاق، والمرض، والإعاقة، والتي قد يفرغ في أثنائها الأبوان شحنات معاناتهم أو غضبهم على الأطفال فيسيئون معاملتهم أكثر مما يقسطون من جناياتهم على أطفالهم. وكذلك الآباء الذين يتعاطون الكحول أو المخدرات فهم أقرب من غيرهم للاعتداء على أطفالهم وإهمالهم.

ونشير إلى إن التفريق بين معاملة الذكر والأنثى في الإساءة سواء اللفظية أو الجسدية له انعكاسات سيئة على نفسية الطفل الناشئ، خصوصاً إذا كانت لديه أخوات إناث ولمس فارقا في تعامل الأسرة، فهو لا يلمس سبب هذا التفريق في المعاملة، وبالتالي يتولد لديه مزيج من مشاعر الغضب والكره والانتقام من أخواته اللاتي لا ذنب لهن في هذا التفريق، وأحياناً يسعى لتقليد تصرفاتهن حتى تتم معاملته كما يعاملن فيؤدي به ذلك إلى الاضطراب الفكري فينساق إلى الانحراف غير السوي .

مقترحات مقدمة للناشئ :

- حاول أن تعرف ما هو سبب هذه الإساءة الموجهة إليك.

إذا كنت أنت المخطئ حاول تلافي بعض الأخطاء التي يمكن أن تقوم بها، أو بعض الأعمال التي تشك أنها ستغضب الآخرين. وإذا أخطأت فاعتذر عن الخطأ الذي بدر منك .

- إذا أساء والدك إليك دون أن تقترف ذنباً حاول أن تشرح رأيك بوضوح حول عدم رضاك وسعادتك عن الأمر، استخدم في ذلك لهجة مؤدبة .

- إذا كانت توجه إليك ألفاظ تحمل صفات تعتقد أنها سيئة عنك (سمين ، غبي ...) عزز ثقتك بنفسك عن طريق إثبات قدرتك على التفوق في أمور مختلفة و لا تعر اهتماماً لما يقولون .

- أحياناً لا تكون هذه الإساءة من الوالد أو الوالدة متعمدة، فهما قد يكونان واقعين تحت ضغوط معينة في العمل أو ضغوط مادية مما يجعلها عصبيين و غاضبين ، لذا تذكر أن والديك يحبانك و يهتمان لأمرك و أن تلك الضغوط هي التي تجعلها يقسوان عليك بها دون قصد أحياناً .

- أطلب المساعدة من المرشد المدرسي عندما يتعذر عليك حل المشكلة بنفسك.

المراجع :

- الكتب:

- شقيرات، محمد عبد الرحمن. المصري ، نايل. الإساءة اللفظية ضد الأطفال من قبل الوالدين في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية المتعلقة بالوالدين. مجلة الطفولة العربية يونيو ٢٠٠١م، الكويت.

- مختار، صفوت، أبناؤنا وصحتهم النفسية ، دار العلم و الثقافة ، ٢٠٠١م.

- شرشر، د.محمد عبد الحميد محمد، معوقات دور أخصائي خدمة الفرد في التعامل مع الأطفال المساء إليهم، مؤتمر الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر، المؤتمر الثامن عشر، ١٦-٣/١٧/ ٢٠٠٥م.

- محروس. د. منال محمد، العلاقة بين ممارسة البرنامج في طريقة العمل مع الجماعات وتعديل السلوك اللاتوافقي للأطفال المساء إليهم، مؤتمر الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر، المؤتمر الثامن عشر، ١٦-٣/١٧/ ٢٠٠٥م.

- الإساءة للأطفال تفقدهم تقدير الذات وتؤدي بهم إلى الاكتئاب والانحراف، الدكتور موسى المشهداني، جريدة الرياض اليومية، السبت ٢٩ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ٣١ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٧٠٤.

- الجلبي، د. سوسن شاكر،آثار العنف والإساءة معاملة الأطفال على الشخصية المستقبلية،

- مجلة الطفولة والتنمية، نحو إستراتيجية لحماية الطفل من سوء المعاملة.

- الطراونة، إساءة معاملة الطفل الوالدية، أشكالها ودرجة التعرض لها، مجلة دراسات، العدد(٢) لسنة ٢٠٠٠م.

- مواقع الانترنت:

- http://www.annabaa.org/nba٤٧/ounf.htm
- http://www.be-free.info/parents
- http://www.be-free.info/parents/Ar/sexabuse.htm
- http://www.be-free.info/parents/Ar/emoabusepa.htm
- http://www.be-free.info/parents/Ar/helpchildpa.htm